ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١١١) - اعرف امامك ج١٠
صحائف العقيدة السليمة - القسم (٤) - أصل الأصول (ق٢)
-الإمام المعصوم هو أصل الدين
-نحن صنائع الله والخلق بعد صنائعنا
الجمعة : ١٠/شهررمضان/١٤٤٢هـ - الموافق ٢٣/٤/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

سأضعُ بين أيديكم كلمات من ذهب:
كلماتٌ من ذهب إنَّها كَلِماتُ إمام زماننا الحُجَّة بن الحسن صلواتُ الله وسلامهُ عليه؛ ممَّا جاء في رسالة من الرسائل الَّتي بعث بها إمامُ زماننا إلى الشيعة زمان الغيبة الأولى الَّتي نعرفها بالغيبة الصغرى تلك الرسائل الَّتي تُعرفُ اصطلاحاً (بالتوقيعات)، توقيعاتُ الناحية المقدَّسة، رسالةٌ أشرتُ إليها في الحلقات الماضية والَّتي قرأتُ منها عليكم ما قالهُ إمام زماننا بخصوص أُمِّه فَاطمَة: (**وَفِي ابْنَة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وآله لِي أُسْوَةٌ حَسَنَة**)، هذه الرسالةُ نفسها الَّتي أريدُ أن أ قتطف فقرةً أخرى منها، هي الرسالةُ الَّتي بعَث بها إمامُ زماننا عبر سفيره الخاص زمان الغيبة الأولى إلى الشيعة بعد مشاجرة كانت فيما بينهم في شأن الإمامَة، وتحديداً في شأن إمامته صلواتُ الله وسلامهُ عليه.
أقرأ عليكم من كتاب الغيبة للطوسي / صفحة (١٨٦)، ممَّا جاء في هذه الرسالة ما قالهُ إمامُ زماننا صلواتُ الله وسلامهُ عليه: (**وَنَحْنُ صَنَائِعُ رَبِّنا وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا**) ، كلمةٌ قصيرةٌ مُقتضبةٌ لكنَّها غزيرةُ المعنى، عظيمةُ الفحوى، وفيرةُ الدلالة والمقاصد.
وَنَحْنُ صَنَائِعُ رَبِّنا - ونحنُ؛ إنَّهُ يتحدَّثُ عن الأئمَّة الأربعة عشر، يتحدَّثُ عن مُحَمَّد وآل مُحَمَّد بعنوان الحقيقة، فإنَّ الشيعة وُصفوا في بعض الروايات: (من أنَّهم آلُ مُحَمَّد أيضاً) ، لكنَّ هذا لا بعنوان الحقيقة الكاملة، بعنوان الحقيقة الكاملة مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد هم الأئمَّةُ الأربعة عشر صلواتُ الله عليهم، فإمامنا هنا يقول: (**وَنَحْنُ صَنَائِعُ رَبِّنا وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا**) ، أريدُ أن أقفَ قليلاً عند هذه الكلمة كي أُبَيِّنَ دلالتها من خلال كلمات مهدويَّة من ذهب.
وَنَحْنُ صَنَائِعُ رَبِّنا وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا - اللفظةُ الَّتي هي بحاجة لشرح، لبيان مضمونها لفظةُ (الصنائع)، فكلمة الصنائع وردت مرتين في هذه الجملة الموجزة.
الصنائع؛ قد تكونُ جمعاً لصنيعة، وقد تكونُ جمعاً لصناعة، وقد تكونُ جمعاً لصُنْع، فالصنيعةُ تُجمع على صنائع، وقد تُجمع بجمع آخر، لكنَّنا نتحدَّثُ عن اللفظة الَّتي بين أيدينا، الصنيعةُ تُجمعُ صنائع، والصناعةُ كذلك تُجمع أيضاً صنائع، والصُنْعُ يُجمع أيضاً صنائع.
فما المرادُ من كلمة الصنائع فيما جاء في هذا التوقيع الشريف: (**وَنَحْنُ صَنَائِعُ رَبِّنا وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا**)؟
الصنيعةُ في لُغة العرب تأتي بمعنيين:
المعنى الأول: الإحسان، المعروف، الفضل، الخير، العطاء، فأقول من أنَّ لفلانٍ على فلانٍ صنيعةً يعني فضلاً، فزيدٌ أعطى بكراً ما أعطاهُ وقدَّم لهُ إحساناً وقدَّم لهُ صنيعةً، قدَّم لهُ صنيعاً، الصنيعُ والصنيعةُ بمعنى واحد، إنَّهُ المعروفُ والفضلُ، فلفُلانٍ على فُلانٍ صنيعةٌ.
هذا المعنى لا ينسجمُ معَ ما جاء في التوقيع الشريف؛ (**نَحنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا** - لا ينسجمُ المعنى أن يُقصَدَ من كلمة الصنائع هنا العطاء - **وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا**) لن يكون الكلامُ دقيقاً، لن يأتي المعنى بشكلٍ انسيابي يتناسب معَ بلاغة هذه العبارة، يمكننا أن نحشر هذا المعنى حشراً لكنَّ هذا لا ينسجمُ مع جمال التعبير وأدب الأسلوب، هذا المعنى الأول للصنيعة.
المعنى الثاني: يكونُ وصفاً لشخص يُصطفى يُختارُ من جهة مُعيّنة ، وتلك الجهةُ تهتمُ بأمره وتُنشئهُ نشأةً على أحسن ما يكون بالنسبة لتلك الجهة، فيُقال؛ فلانٌ صنيعةُ السلطان، فإنَّ السلطان قد اختار شخصاً من حاشيته، من جُنده، من أقربائه، واهتمَّ به منذُ صغره، وأنشأهُ تنشئةً خاصةً حتَّى بلغ مبلغ الرجال واعتمد عليه اعتماداً كبيراً في أمره وشأنه، فيُقال؛ من أنَّ فُلاناً صنيعةُ السلطان، من أنَّ فُلاناً صنيعةُ أستاذ مُعيَّن في فنٍّ من الفُنون، في أدبٍ من الآداب، في علمٍ من العلوم، اختار تلميذاً صغيراً وانتخبهُ من بين التلاميذ واهتمَّ بهِ وأنشأهُ تنشئةً خاصة حتَّى بلَغَ إلى ما بلغَ من أهدافه، فيُقال فلانٌ صنيعةُ فلان.
هذا المعنى قد ينطبقُ على الشقِّ الأوّل؛ (**نَحنُ صَنَائِعُ رَبِّنا**) يمكن أن ينطبق على الشقِّ الأول، ولكن على الشق الثاني كيف؟! (**وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا**)، فهل أنَّ كُلَّ الخلقِ من البشرِ وغيرهم، الـ خلق قد نشأوا نشأةً مرضيةً عند مُحَمَّد وآل مُحَمَّد؟! إلَّا إذا حملنا التعبير هذا على بعض من الأفراد من بني البشر، أو حملنا ذلك على الملائكة مثلاً، والملائكةُ كثيرون ومراتبهم كثيرةٌ جداً أيضاً، فهل المرادُ الجميعُ أم أنَّ المراد خواصّ الملائكة؟!
فـ هذا المعنى إذا انسجم في الشقِّ الأولَ من الكلمة إنَّهُ لا ينسجمُ مع الشقِّ الثاني، ولا نستطيعُ أن نحمل الشقَّ الأول وفقاً لهذا المعنى ونتركُ الشقَّ الثاني، فإنَّ التعبير هو التعبير نفسهُ؛ (**وَنَحْنُ صَنَائِعُ رَبِّنا وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا**).
إذا ما ذهبنا إلى سورة طه كي أوضح لكم مقصدي من معنى الصنيعة:
في سورة طه وفي الآية التاسعة والثلاثين بعد البسملة من السورة نفسها والخطابُ من الله لموسى النَّبي: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي**﴾، في سياق قصة ولادته؛ ﴿**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ۞ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً**

مَنِّي - عند آلِ فرعون حين كان موسى صغيراً - **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾**، فموسى صنيعةُ الله، ﴿**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾**، هو اختيارٌ وتنشئةٌ خاصةٌ إلى سائر التفاصيل.

في الآية الحادية والأربعين بعد البسملة من نفس السورة من سورة طه والخطابُ من الله لموسى: ﴿**فَلَبِثْتَ سنينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ** - الَّذي لبث سنينا في أهل مدين هو موسى - **فَلَبِثْتَ سنِيْنَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾**، هذا في الآية الأربعين بعد البسملة.

في الآية الحادية والأربعين وهي موطنُ الشاهد: ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لنَفْسِي﴾**، اصطنعتك اصطناعاً، فأنت صنيعتي، وأنت مُصطنعٌ أنا الَّذي اصطنعتك يا موسى. هذا هو المرادُ من المعنى الثاني لكلمة صنيعة، إنَّها تعني الاختيار بخصوصية والانتقاء والاجتباء بدقة، وبعد ذلك تبدأ التنشئةُ بخصوصية وبفضل.

فهذه المعاني يمكنُ أن تنطبق على الشقِّ الأول؛ (**وَنَحنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا**)، لكن على الشقِّ الثاني لا نستطيعُ أن نُطبقها لأنَّ الشقَّ الثاني يتحدَّثُ عن كُلِّ الخلقِ؛ (**وَالْخَلقُ بَعْدُ صَنَائعنا**) ، الصنيعةُ بمعنى الإحسان والمعروف والعطاء لا نستطيعُ أن نطبقهُ على هذه الكلمة، والصنيعةُ بهذا المعنى مثلما قرأتُ عليكم في سورة طه، يمكنني أيضاً أن ألحق ما جاء في سورة آلِ عمران في قصة مريم.

في الآية السابعة والثلاثين بعد البسملة من سورة آل عمران: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ** - تقبل مريم - **وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**.

﴿**وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾** ، إلى بقيّةِ التفاصيل الَّتي وردت في الآيةِ الكريمة، فمريمُ صَنيعَةُ اللهِ أنبتها نباتاً حسناً، اجتباها أنشأها تنشئةً خاصةً.

- موسى صنيعةُ الله.

- مريمُ صنيعةُ الله.

المعنى هو هو حين يقولُ صلَّى اللهُ عليه وآله: (**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي وَعَلِيٌّ أَدِيبِي**)، أدَّبني ربي فأحسن تأديبي وعليٌ أديبي، كلامُ النَّبي هنا صلَّى اللهُ عليه وآله يشيرُ إلى نفس هذه الجهة من أنَّهُ صنيعةُ الله، من أنَّ الله اصطنعه. هذا المعنى ينطبقُ على الشقِّ الأول من كلمة إمامِ زماننا؛ (**وَنَحنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا**)، لكنَّهُ لا ينطبقُ على الشقِّ الثاني؛ (**وَالْخَلقُ بَعْدُ صَنَائعُنَا**)، فعلى هذا لا نستطيعُ أن نُطبق هذا المعنى.

المعنى الثاني: رُبَّما أنَّ صنائع هي جمعٌ لصناعة، والصناعةُ هي حرفةٌ، فلانٌ صناعتهُ كذا وكذا، حرفتهُ، وقد تُطلقُ على الشيء المصنوع، فيُقال هذا الشيء صناعةُ المصنع الفلاني، هذه صناعةُ فلان، شيءٌ قام فلانٌ بصناعته، بصُنعه، فالصنائعُ بمعنى الصناعة، والصناعةُ هي الحرفة أو هو المُنتج من تلك الحرفة.

على سبيل المثال:

إذا ذهبنا إلى سورة الأنبياء في الآية الثمانين بعد البسملة والحديثُ عن داوود النَّبي: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾**، **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ** - إنَّها الدروعُ الداوودية المعروفة، فالصناعةُ والصنعة بمعنى واحد، يُقال صَنْعَةٌ فلان النجارةَ، ويُقال كذلك صناعةٌ فلان النجارة أو الحدادة، إنَّها الحرفةُ، وكذلك تُطلقُ على ما يُنتجهُ صاحبُ الحرفة، ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾**، فهذه الصنعةُ تُطلقُ على نفس الحرفة وتُطلقُ على ما يُنتجهُ صاحب الحرفة.

إذا ما ذهبنا على سبيل المثال إلى سورة هود:

وفي الآية السابعة والثلاثين بعد البسملة في سورة هود: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا** - في قصة نوحٍ النَّبي - **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾**، صناعةُ الفُلك، صناعةُ السفن، أمرٌ من اللهِ لنوحٍ النَّبي أَنْ باشر صناعة سفينتك، ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾**.

والكلامُ هو هو إذا ما ذهبنا إلى سورة المؤمنون في الآية السابعة والعشرين بعد البسملة: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فيهَا من كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾**، إلى آخر الآية، الآيةُ السابعةُ والعشرون بعد البسملة من سورة المؤمنون ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾**، صناعةٌ بمعنى الحرفة ومع نى المنتج من تلك الحرفة، فعملُ نوح كانَ نجاراً، الرواياتُ تخبرنا من أنَّهُ كانَ نجاراً، قبل أن يقوم بصناعة السفينة، منذُ بداية حياته كانَ نوحٌ النَّبي كانَ نجاراً، فصناعتهُ النجارة، ماذا نتج من صناعته بعد أن أمرهُ الله بصناعة السفينة؟ السفينةُ صناعةُ نوح هذا المنتج، والنجارةُ صناعةُ نوح إنَّها الحرفة.

هذا المعنى لا ينطبقُ بشكلٍ دقيقٍ إذا أردنا أن نُدقِّق النظر فيما قالهُ إمامُ زماننا: (**وَنَحنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائعُنَا**)، إذا أردنا أن نُطبق معنى الصناعة الَّتي هي الحرفة، ومعنى الصناعة الَّتي هي المنتوج من تلك الحرفة لا ينسجمُ الكلامُ بدقَّةٍ وبوضوح فيما قالهُ إمامُ زماننا، فليس الحديثُ هنا عن حرفة وليس الحديثُ هنا عن منتوج ينتج من تلك الحرفة.

بقي المعنى الثالث:

- أنا قلتُ لكم من أنَّ الصنائع قد تكونُ جمعاً لصنيعة.

- وقد تكونُ جمعاً لصناعَ، وقد تكونُ جمعاً لصُنع.

الصُنع لهُ أكثر من دلالة إلَّا أنَّ الدلالة الأولى الواضحة الخَلْق.

إذا ما ذهبنا إلى سورة النمل:

وفي الآية الثامنة والثمانين بعدَ البسملة من سورة النمل: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** - لا أريدُ أن أدخل في تفاصيلِ معنى الآية، وإنَّما أذهبُ إلى موطن الحاجة منها - **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ الله الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** - الحديثُ هنا عن الخلق، عن عملية الخلق، عن الخالقيّة والمخلوقية - **صُنْعَ الله الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾.

﴿**صُنْعَ الله الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ ، الحديثُ عن الخلق هنا، عن عملية الخلق، والمرادُ من الخلق الإيجادُ والإبقاءُ والإنماءُ، وحتَّى إذا وصلنا إلى مرحلة الإنهاء والإفناء فإنَّ الإنهاء والإفناء سيكونُ وفقاً لحكمة، لا أريدُ أن أخوض في كُلِّ هذه الدقائقِ وفي كُلِّ هذه المعاني الَّتي هي بحاجة إلى وقفة تفصيليّة تحتاجُ إلى وقت طويل، فالصُنع هنا هوَ الخلقَ، إنَّني أتحدَّثُ عن الخلق الإلهيَ، عن الخالقية، فإنَّ اللهَ حينما يخلقُ يُوجِد ويُبقي وكذلكَ يُنمي، هُناكَ إيجاد وهذا الإيجادُ يبقى محفوظاً بالإبقاء، وهذا الإبقاءُ يبقى مُتكاملاً بالإنماء، وحتَّى لو كانَ هناك من أجل، لا أتحدَّثُ عن الإنسانِ أو عن الحيوان، أتحدَّثُ عن كُلِّ شيء فلكُلِّ شيء أجل، كُلُّ المخلوقات لها آجالٌ معيَّنة، ولكُلِّ خلقٍ بحسبه، كُلُّ الكائنات سابحةٌ في أفلاكها وما أفلاكها إلَّا آجالها، وكُلٌّ في فلك يسبحون، هذا الكلامُ ليسَ خاصاً بالشَّمس أو بالقمرِ أو بالنجومِ والكواكب، كُلُّنا نسبحُ في أفلاكنا وأفلاكُنا هي الدائرةُ الَّتي تنتهي عندها حركتنا، إنَّها آجالنا، كُلُّنا نسبحُ في أفلاكنا، كُلُّ الخلائق.

- فهناك إيجادٌ.
- وهناك إبقاء.
- وهناك إنماء.
- وحتَّى إذا وصلنا إلى الإنهاء والإفناء فهناك حكمةٌ.

والمنافعُ قد تعودُ على الَّذي يُجاورُ ذلك الَّذي أُنهي أجلهُ، أو أنَّ المنافع تعودُ عليه إذا ما انتقل إلى مرحلة أخرى، هذا موضوعٌ فيه كثيرٌ من التفصيل.

﴿**صُنْعَ الله الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ ، هذا المعنى هو نفسهُ الَّذي نقرؤهُ في دعاء يوم عرفة، إنَّهُ الدعاءُ المرويُّ عن سيّد الشُهداء صلواتُ الله وسلامهُ عليه، الدعاءُ من أوله إلى آخره يتحدَّثُ عن عملية الخلق، عن عملية الصنع الَّذي تتحدَّثُ عنه سورةُ النمل؛ ﴿**صُنْعَ الله الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾، دعاءُ يوم عرفة من أوَّله إلى آخره يدورُ في هذه المضامين، وإن كان الدعاءُ أخذ الإنسان مثالاً، إلَّا أنَّ الإنسان مثالٌ نموذجيٌ للحديث عن الصناعةِ الإلهيّة، عن الصُنع الإلهي وعن الخلقِ الإلهي، ولذا فإنَّ الدعاء في بدايته ماذا يقول؟

الْحَمْدُ للَّه الَّذي لَيْسَ لقَضَائه دَافع وَلَا لعَطَائه مَانع وَلَا كَصُنْعه صُنْعُ صَانع - ولا كَصُنْعه إنَّهُ الإتقانُ في الخلق، الإيجادُ، الإبقاءُ، الإنماءُ، إلى، إلى، إلى - **وَهُوَ الْجَوَادُ الوَاسع فَطَرَ أَجْنَاسَ البَدَائع وَأَتْقَنَ بحكْمَته الصَّنَائع** - نظامٌ متكاملٌ من قُرآنهم إلى أدعيتهم إلى زياراتهم إلى رواياتهم إلى أحاديثهم، سوّد الله وجوه أولئكَ الَّذين قطعوا الطَريق فيما بيننا وبين ثقافة العترة الطاهرة، دمّروا حديث أهل البيت بسفاهاتهم وجهالاتهم وسخافاتهم وقذاراتهم، وقطعوا الطريق فيما بين الشيعة وبين العقائد الصحيحة السليمة، بما جلبوهُ لنا من قذارات النواصب وضحكوا علينا وقالوا إنَّ ثقافة أهل البيت هي هذه، كذَّابون والله، كذَّابونَ كذَّابون كذَّابون - **وَأَتْقَنَ بحكْمَته الصَّنَائع صُنْعَ الله الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** - يستمر دعاء يوم عرفة، ومثلما قلتُ لكم من أنَّ الدعاء في كُلِّ تفاصيله يتحدَّثُ عن حكاية الصُنع الإلهيَ، الخَلقَ الإلهي وأخذَ الإنسان مثالاً - **مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ رَأَفْتَ بِي** - الدعاء يتحدَّثُ عن تفاصيل خلقة الإنسان، (**خَلَقْتَنِي مِنَ التُرَابِ ثُمَّ أَسْكَنْتَنِي الأَصْلاَبَ** - إلى أن يقول الدعاء: **فَلَم أَزَلَ ظَاعِناً** - يعني مُتنقلاً مُسافراً - **فَلَم أَزَلَ ظَاعِناً من صُلْبٍ إِلَى رَحِم**)، إلى أن يقول الدعاء: **وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ رَأَفْتَ بِي بِجَمِيلِ صُنْعِك وَسَوَابِغِ نِعَمِك فَابْتَدَعْتَ خَلْقِي مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى وَأَسْكَنْتَنِي فِي ظُلُمَاتِ ثَلاث بَيْنَ لَحْمٍ وَدَمٍ وَجِلْد** - إلى بقيَّة ما جاء مذكوراً في الدعاء الشريف، (**رَأَفْتَ بِي بِجَمِيلِ صُنْعِك**).

المضمونُ هو هو الَّذي نقرأهُ في المقطع العاشر من دعاء الجوشن الكبير وهو من أدعية ليالي شهر رمضان وتحديداً من أدعية ليالي القدر في المقطع العاشر من دعاء الجوشن الكبير: **يَا صَانِعَ كُلِّ مَصْنُوع، يَا خَالِقَ كُلِّ مَخْلُوق، يَا رَازِقَ كُلِّ مَرْزُوق** - هذا هو الإبقاء والإنماء، التفاصيلُ الَّتي مرت الإشارةُ إليها، المقامُ ما هو بمقامِ تفصيل وإلَّا لأسهبتُ في هذه المطالب - **يَا مَالِكَ كُلِّ مَمْلُوك، يَا كَاشِفَ كُلِّ مَكْرُوب، يَا فَارِجَ كُلِّ مَهْمُوم، يَا رَاحِمَ كُلِّ مَرْحُوم، يَا نَاصِرَ كُلِّ مَخْذُول** - كُلُّ هذا يدخلُ في مرحلة الإنماء، فقوانينُ التوفيقِ والخذلان هي جزءٌ من مرحلة الإنماء، وقوانينُ الهداية والإضلال هي جزء من مرحلة الإنماء، هي من تفاصيل قانون التوفيقِ والخذلان، وقانونُ البداء هو جزءٌ من قوانين مرحلة الإنماء بل هو القانونُ الأعظم في هذه المرحلة - **يَا سَاتِرَ كُلِّ مَعْيُوب، يَا مَلْجَأَ كُلِّ مَطْرُود** - هذا المقطعُ يتحدَّثُ عن الإيجاد والإبقاء والإنماء بكُلِّ تفاصيله، الإنماءُ في بُعده المادي، والإنماءُ في بُعده المعنوي، والحديثُ عن الإنسان هنا، لأنَّنا نتحدَّثُ عن الإنسان، هذه أدعيةٌ، فدعاءُ يوم عرفة نصٌ يتحدَّثُ عن الإنسان، ودعاء الجوشن الكبير نَصٌ يتحدَّثُ عن الإنسان، لكنَّ القضيّة ليست خاصةً بالإنسان، الإنسانُ هو المثالُ الأنموذج، والَّذي يهمّنا نحنُ هو ما يرتبطُ بالإنسان، فقُرآننا هو كتابُ الإنسان، قُرآننا كتابٌ نزل من الله إلى الإنسان، وهذه الأدعيةُ كتابٌ صعد من الإنسانِ إلى الله، فكتابٌ نازلٌ هو القُرآن، كتابُ الإنسان، وكتابٌ صاعدٌ هو الدعاء كتابُ الإنسان، ونحنُ ما بين هذا الكتا بَ وهذا الكتاب نتدبّر الحقائق وفقاً لمنطقِ سادة الإنسان؛ إنَّهم مُحمّدٌ وآلُ مُحمَّد الَّذينَ بهم نبقى في حدود الإنسانيّة بعيداً عن حدِّ البهيميّة.

وَنحنُ صَنَائعُ ربِّنا - أعتقد أنَّ المعنى الثالثَ يأتي مُنسجماً بشكلٍ واضح مع هذه الكلمة الذهبية، ما أنا قلتُ لكم إنَّني سأعرضُ بين أيديكم كلمات من ذهب، إنَّها كلماتُ القائم، إنَّها كلماتُ إمام زماننا صلواتُ الله وسلامهُ عليه.

وَنَحْنُ صَنَائعُ رَبِّنَا؛ إنَّهم خلقهُ الخلقُ الأكملُ الأفضل الأتم.

وَالْخَلْقُ بَعْدُ؛ هذا التعبير (بَعْدُ) يشيرَ إلى أ نَّ الخلقَ الَّذي يتحدَّثون عنه ليسَ بالكمال الَّذي تحدَّث عنهُ إمامنا في بداية هذه الجملة (**نَحْنُ صَنَائعُ رَبِّنا**) ، الإمامُ هنا في مقامِ بيانِ فضلهم، في مقامِ بيانِ قُربهم من الله، فهم صنائعُ ربهم، لهم الكمالُ ولهم الخصوصيةُ لو لَم يكونوا كذلك لقال: (نحنُ

وسائرَ الخلق صنائعُ رَبِّنا)، الإمامُ فَصّلَ بينهم وبين سائرِ الخلق - **وَنَحنُ صَنائِعُ رَبِّنا وَالْخَلقُ** - وانتبهوا إلى دقّة استعمال كلمة (الخَلْق)، لأنَّ إمامنا الحُجَّة بن الحسن يريد أن يُفهِمنا هذه الحقيقة؛ من أنَّ الكلام عن الخَلق وليس عن الصنيعة بالمعاني الَّتي تقدَّم ذكرها، وليس عن الصناعة بالمعاني الَّتي تقدَّم ذكرها وإنَّما عن الصُنع، فالصَنائعُ جمعٌ لصُنع، والصنعُ هو الخلق، قد يكونُ للصنع معانٍ أخرى، لكنَّ المعنى الأول والمعنى الرئيس والمعنى الأصل وذكرتُ لكم ما جاء في الكتابِ الكريم في سورة النمل، لا أريدُ أن أُعيد الكلام مرَّةً أخرى.

هذه الكلمةُ هل تستغربون إذا قلتُ لكم من أنَّ أميرَ المؤمنين قد ذكرها بنحوٍ مُجملٍ، أين ذكرها؟ هل تتوقَّعون أنَّهُ قد ذكرها في مجلسٍ خاص؟ أو في خُطبة في الكوفة في أوساطِ شيعته؟ لقد ذكر هذا الكلام في كتابٍ بعث به إلى معاوية يحتجُّ على معاوية، فهل يكونُ الاحتجاج بشيءٍ ليس معروفاً عند الجميع؟!

في نهجُ البلاغة الشريف / صفحة ٢٨٦ / رقمُ الكتاب (٢٨)، الكتابُ الثامنُ والعشرون من الكتب الَّتي جمعها الشريفُ الرضي في نهجِ البلاغة، هذا الكتابُ كتبهُ أَميرَ المؤمنين إلى معاوية جواباً على كتابٍ على رسالة أرسلها معاوية إلى أمير المؤمنين، جوابٌ طويل، من جملة ما قالهُ سَيدُ الأوصياء في هذا الكتاب: (**فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا**) ، سيدُ الأوصياء قد أجمل الكلام وتحدَّث عن الناس فقط، لماذا؟ لأنَّ الحديث فيما بين معاوية وبين الأمير في هذه الكتب كان عن الناسِ كان عن الأُمَّة، كانَ عن الخلافة والإمامة والبيعة وأمثال هذه المعاني، وهذه شؤونٌ بشريةٌ ترتبطُ بالواقعِ الاجتماعي وبالواقعِ السياسي والديني للأُمَّة، لكنَّ هذا المعنى في أصلهِ كانَ معروفاً عند المسلمين، الثقافةُ الَّتي أوجدها رسول الله كانت ثقافةً عظيمةً لكنَّهم ضيعوها ضيعتها السقيفةُ وبعد ذلك في زمانِ الغيبة جاء مراجعُ الشيعة فضيّعوا ما بقي منها في وسطنا الشيعي.

العبارةُ مُجملةٌ بحسبِ زمانِ قولها، بحسبِ مقامها، بحسبِ الجهة الَّتي تُخاطَبُ بها، فهي جذرٌ للمعنى، لكنَّ ما جاء في رسالة الحُجَّة بن الحسن صلواتُ الله وسلامهُ عليه: (**وَنَحنُ صَنائِعُ رَبِّنا وَالْخَلقُ**) ليس الناس (الْخَلْقُ)، واستعمل الإمامُ هذا العنوان (الخلق) كي يُشير إلى أنَّ الصنائع هي جمعٌ لصُنع وهو الخَلق، أميرُ المؤمنين هكذا قال في كتابه لمعاوية: **فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا** - وهذا مصداقٌ لِما تحدَّثتُ عنهُ فيما سلف من أنَّ مرحلة التأويل بعد بيعة الغدير هي مرحلةٌ تدريجيةٌ في البيان.

فهذا بيانٌ في زمانِ الأمير: (**فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا**).

وهذا بيانٌ في زمنِ إمامة الحُجَّة بن الحسن: (**وَنَحنُ صَنائِعُ رَبِّنا وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنائِعُنا**).

القُرآنُ صريحٌ في سورة المؤمنون:

إذا ذهبنا إلى سورة المؤمنون، وفي الآية الرابعة بعد العاشرة بعد البسملة، في قصة خلق الإنسان في رحم أُمِّه وما يسبق ذلك: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾، هناكَ خالقون وإلَّا لا معنى لهذا الكلام، فهل أنَّ الله سبحانه وتعالى يصفُ نفسهُ بأحسن الخالقين ولا وجود لهم؟ أم أنَّهُ يصفُ نفسهُ بأحسنِ الخالقين يُقايسُ ذاتهُ بنجَّارٍ يخلقُ كرسياً؟! أو بحداد يخلقُ يصنعُ شباكاً أو باباً؟! أو حتَّى بمخترعٍ يخترعُ سيارةً؟! فهل أنَّ الله سبحانه وتعالى يُقارن نفسهُ بهؤلاء؟! أم أنَّهُ يقارنُ نفسهُ بعيسى الَّذي هو خالقٌ أيضاً وبحسبِ تعبيره عن نفسه وبحسبِ وصف الله لهُ، لا أجدُ مجالاً كي أقرأ عليكم ما جاء بهذا الخصوص عودوا إلى الحلقات الأولى من برنامج (الأمان ... الأمان يا صاحبَ الزمان)، ستجدون التفاصيل كاملةً هناك.

وهذا الوصفُ تكرّر أيضاً في موضعٍ آخر في الكتاب الكريم، لا أجد وقتاً كي أشير إلى كُلِّ هذه الدقائق: ﴿**فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾، هناك خالقون، ولابُدَّ أن يكون مستوى خلقهم بنحوٍ عالٍ جِداً وبنحوٍ عظيمٍ وبإتقانٍ حتَّى يقول اللهُ سبحانهُ وتعالى من أنَّهُ أحسنُ الخالقين، لماذا هو أحسنُ الخالقين؟ لأنَّهُ هو الَّذي خلقهم، هو الَّذي خلقَ هؤلاء الخالقينَ الَّذين خلقوا أعظمَ الخلق.

وَنَحنُ صَنائِعُ رَبِّنا وَالْخَلقُ بَعْدُ صَنائِعُنا - قطعاً إذا كنتم تتصوّرون أنَّني أتحدَّثُ عن الأئمَّة الأربعة عشر الَّذين وُلدوا في هذه الأرض من أنَّهم هم الَّذين خلقوا فهذه تفاهةٌ، إنَّني أتحدَّثُ عن حقائقهم الأولى، إنَّني أتحدَّثُ عن الحقيقة الْمُحَمَّدِيَّة الَّتي صدرت منها الأسماءَ الحُسنى، ومن الأسماء الحُسنى صدرَ كُلُّ شيء، أمَّا هم في الأرض فهم مظاهر تلكَ الحقيقة، هم أسماءُ تلكَ الحَقيقة، تلكَ الحقيقةُ تجلَّت لنا في هذا العالمِ المحدود الضيّق في الأئمَّة المعصومين الأربعة عشر، حينَ أتحدَّثُ عن خالقيّتهم إنَّني أتحدَّثُ عن الحقيقة الْمُحَمَّدِيَّة، عن الاسم الأعظم الأعظم الأعظم وهذا ما سيأتي بيانهُ في شؤون التوحيد، هذا ما هو غلوّ هذا هو منطقُ القُرآنِ ومنطقُ العترة وسأضعُ أيديكم على هذه الحقائق من قُرآننا ومن أحاديثنا، إنَّني لا أتحدَّثُ عن كُتب الغلاة، عن النُصيريَّة وأمثالهم، أنا لا أعبأ بتلكَ الكتب، أنا أتحدَّثُ عن كتبنا عن الكافي الشريف وأمثاله، أتحدَّثُ عن الكتب الَّتي أُلِّفت في زمان أئمَّتنا وبرعايتهم وأمرونا أن نعودَ إليها، هذا هو الَّذي أتحدَّثُ عنه، والعبارةُ واضحةُ الدلالة في هذا: (**وَنَحنُ صَنائِعُ رَبِّنا وَالْخَلقُ بَعْدُ صَنائِعُنا**) ، فإنَّ الإمام يتحدَّثُ عن كُلِّ الخلق، كُلُّ الخلق يرتبطون ارتباطاً مباشراً بالحقيقة الْمُحَمَّدِيَّة، أمَّا بالأئمَّة الأربعة عشر فإنَّ كُلَّ الخلق يرتبطون بهم بنحوٍ من الأنحاء، الارتباطُ المباشرُ من البدايةِ إلى النهاية وفي جميع الاتجاهات إنَّهُ ارتباطٌ بالحقيقةِ الْمُحَمَّدِيَّة الَّتي صدرَ منها كُلُّ شيء بأمرِ الله، هذا هو الَّذي يريدهُ سبحانه وتعالى.

فحينما تكلَّم بالكلمة الأولى، الكلمة الأولى كانت كاملةً، إنَّها الحقيقةُ الـمُحَمَّدِيَّةُ، فكُلُّ المعنى الَّذي يريدهُ الله خرج من هذه الكلمة التامة، تكلَّم الله كلمةً واحدة، فهوَ لا يحتاجُ أن يتكلَّم أكثر من ذلك، تكلَّم كلمةً واحدة، هو أرادَ ذلك، ليس من شأنه أن يتكلَّم أكثر من كلمة، تكلَّم كلمةً واحدة، وتلكَ الكلمة الواحدة الحقيقةُ الـمُحَمَّدِيَّة وكُلُّ المعنى فيها، فصدرَ منها كُلُّ شيء، صدرت كُلُّ المعاني من تلكَ الكلمة، إنَّها الكلمةُ التامةُ بل هي الكلمةُ الأتم.

الأئمَّةُ الأربعة عشر مظاهرُ هذه الكلمة، إنَّهم المظاهرُ الأكمل، المظاهرُ الأتم لهذه الكلمة، وصاحبُ الأمر يُشيرُ إلى هذه الحقيقة، وهذه الحقيقةُ لا يُمكننا أن نُشيرَ إليها إلَّا عِبرهم، إلَّا عِبرَ هذا الباب، إلَّا عِبرَ هذا السبب، إلَّا عِبرَ أَئِمَّتنا الأربعة عشر؛ (إنَّهم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين).

- **نَحنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا** - بدايةُ الجملة (نحنُ) ونهايةُ الجملة الضمير (نا) ، صنائعنا نحنُ أيضاً، البدايةُ هم النهايةُ هم بالنسبةِ لهذا الخلق، فبدايةُ الخلقِ تعودُ إلى الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، إنَّني أتحدَّثُ عن بداية الخلقِ الثاني..

وَنَحنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا - وربنا هو الَّذي أعطانا القدرة أن يكون الخلقُ صنائعَنا - **نَحنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا** - هذا بالضبط مثلما يستحبّ أن يُقال بعد تمام الطعامِ على المائدة: (الحَمْدُ للَّه، اللَّهُمَّ إنَّ هذا منكَ ومِن مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد) ، (اللَّهُمَّ إنَّ هذا مِنْكَ وَمِن مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد)، كُلُّ شيء منه لكنَّهُ هو الَّذي أكرمهم وجعلهم أسباباً - **وَنَحنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا** - فإنَّهُ هوَ الَّذي منحنا هذه القدرة.

كلماتٌ من ذهب: إنَّها كلماتُ الحُجَّة بن الحَسن.

في الجزء التاسع والتسعون من (بحارِ الأنوار) لشيخنا المجلسي رحمةُ الله عليه / صفحة (٩٢)، هذه زيارةُ النُدبة، هي غيرُ دعاء الندبة، هناكَ دعاء الندبة وهناك زيارةُ الندبة، وقد تُسمَّى بزيارة آل ياسين غيرِ المشهورة في كتب الأدعية وكتب المزارات، هذه الزيارةُ خرجت من الناحية المقدَّسة أيضاً، زيارةٌ دقيقةٌ وعميقةٌ ورشيقة في كُلِّ دلالاتها ومضامينها، أقتطفُ منها كلمات قليلةً جِدَّاً: **فَمَا شَيءٌ منَّا** - الحديثُ عن الإنسانِ والإنسانُ مثالٌ هنا، باعتبار أنَّنا في مقام العبادة، والعبادةُ عبرَ الأدعية والزيارات هي شأنٌ إنسانيٌّ بالدرجةِ الأولى - **فَمَا شَيءٌ منَّا** - صفحة (٩٣) من الجزء التاسع والتسعين من بحار الأنوار، من توقيعات الناحية المقدَّسة - **فَمَا شَيءٌ منَّا إلَّا وَأَنْتُم لَهُ السَّبَب وَإِلَيْه السَّبِيل** - فما شيءٌ منَّا مطلقاً، كُلُّ شيء مردُّهُ إليكم، كُلُّ شيء قد خرج من الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، عبرَ الأسماء الحسنى، عبرَ الوسائط والأسبابِ والعلل و و و، الزيارةُ عميقةٌ في دلالاتها - **اَلسلامُ عَلَيْكُم أَنْتُم نُورُنَا وَأَنْتُم جَاهُنَا وَأَوْقَاتُ صَلَوَاتنَا وَعِصْمَتُنَا بِكُم لِدُعَائنَا وَصَلَاتنَا وَصِيَامنَا وَاسْتِغْفَارِنَا وَسَائِرِ أَعْمَالنَا** - لماذا؟ لأنَّهم أصلُ الأصول، كُلُّ العبائرِ إن كان الحديثُ عن الإيجاد والوجود، أو كانَ الحديثُ عن الخلقِ والتكوين، أو كانَ الحديثُ عن الرزقِ والفيض والعطاء والـمَن، أو كان الحديثُ عن العلمِ والمعرفة والهدايةِ والعقيدة والدين، و و و، إنَّهم أصلُ الأصول، في الطبعة الَّتي بين يدي سقط حرفُ الواو - **وَأَنْتُم جَاهُنَا** - في النسخ الأصليةِ القديمة - **السَّلَامُ عَلَيكَ أَيُّهَا الإِمَامُ الْمَأْمُون، السَّلامُ عَلَيكَ أَيُّهَا الإِمَامُ الْمَأْمُول، السَّلَامُ عَلَيْكَ بِجَوَامِعِ السَّلَام** - لماذا بجوامع السلام؟ لماذا جوامع السلامِ تدورُ في فنائه تحطُّ في فنائه؟ لأنَّهُ أصلُ الأصول.

في الصفحة الخامسة والتسعين من نفس الزيارة الشريفة: **مَن لِي إلَّا أَنْت** - لماذا؟ لأنَّك أصلُ الأصول، هذه النصوصُ صادرةٌ عن الناحية المقدَّسة، كما قلتُ لكم كلماتٌ من ذهب - **مَن لِي إلَّا أَنْت فِيمَا دُنْتُ وَاعْتَصَمْتُ بِكَ فيه، تَحرُسُني فِيمَا تَقَرَّبتُ به إلَيك، يَا وِقَايَة الله وَسترَهُ وَبَرَكَتَهُ أَغْثني** - وفي نسخ (أغثني) - **أَغْثِنِي أَدْنِني أَدْرِكْنِي صِلْنِي بِكَ وَلَا تَقْطَعنِي** - المقدِّمةُ حين أقول: (بِكَ صِلْنِي عَنكَ لَا تَقْطَعنِي) من هنا أخذت، ما أقولهُ وأُردِّدهُ في برامجي وإنْ لم أُصرِّح بأنَّهُ من الأدعية والزيارات ومن الخُطب الشريفة والروايات إنَّني آتي به منهم في كُلِّ أحاديثي، هذا أمر ربّيتُ نفسي عليه، وعلَّمتُ لساني ومرنتهُ على ذلك - **أَغْثِنِي أَغْثِنِي أَدْنِنِي أَدْرِكْنِي صِلْنِي بِكَ وَلَا تَقْطَعْنِي، اللَّهُمَّ بِهِم إلَيْكَ تَوَسَّلِي وَتَقَرَّبِي، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد وَصِلْنِي بِهِم وَلَا تَقْطَعنِي** -

ومن زيارة النُدبة الصَّادرة عن النَّاحية المقدَّسة، إلى دعاء الندبة الشريف:

ودعاء النُدبة بحسبِ ما هو معروفٌ في كُتبِ الأدعية والمزارات جاء مروياً مرّتين، مرّةً عن الصَّادق صلواتُ الله عليه، ومرّةً عن إمامِ زماننا..

وأنا أقرأ عليكم من مفاتيح الجنان: **أَيْنَ بَابُ الله الَّذي منْهُ يُؤْتَى** - هوَ هذا الباب لماذا؟ لأنَّهُ أصلُ الأصول، لا يوجد بابٌ آخر، لا توجد نافذةٌ، لا يوجدُ ثَقبٌ، لا يوجدُ مكانٌ يُمكننا أن نتسلَّل من خلالَه إلى الله، هو بابٌ واحد، بابنا نحنُ إمامُ زماننا، هو هذا ولا يوجدُ غيره، هل سألتم أنفسكم لماذا؟ لأنَّهُ أصلُ الأصول، وتُعساً لمنظومة عقائد مراجعِ النَّجف ما تُسمَّى بأصول الدين الخمسة، إنَّها أصولُ الأشاعرة والمعتزلة، إذا كنتم تبحثون عن أصول دين عليٍّ وآل عليٍّ، هي هذه الَّتي تُعرَضُ عبرَ شاشة القمر في هذا البرنامج هذه أصولُ دين عليٍّ وآل عليٍّ - **أَيْنَ وَجْهُ الله الَّذي إلَيْه يَتَوَجَّهُ الأَوْلِيَاء، أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاء** - هذه الجُملُ القصيرةُ تختصرُ كُلَّ المطالب السابقة، وما سيأتي من المطالب اللاحقَة، فإمامُ زماننا هو بابُ الله، وإمامُ زماننا هو وجهُ الله، وإمامُ زماننا هو سببُ الله، فهو البابُ الَّذي منهُ ندخلُ إلى الله إن صحَّت هذه التعابير، اللغةُ قاصرة، فماذا سأصنعُ لألفاظها؟!

إنَّها كلماتٌ من ذهب، كلماتُ الحُجَّة بن الحسن صلواتُ الله وسلامهُ عليه:

كُلُّ هذه الكلمات الَّتي وضعتها بين أيديكم كلماتهُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه وعلى آبائه وأجداده الأطيبين الأطهرين، إنَّها جوهرة الجواهر إنَّها الكلمةُ الأعظم، هذا الدعاءُ الَّذي ورد من الناحية المقدَّسة على يدِ السفير الثاني رضوان الله تعالى عليه وهو من أدعية شهرِ رجب، الدعاءُ الَّذي يبدأ: **اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِه وَلَاةُ أَمْرِك الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّك** - من الأدعيّة الَّتي تُقرأ في أيامِ شهرِ رجب، هذه العبارةُ الذهبيةُ الَّتي طالَما أُردِّدها لأنَّها جوهرةُ الجواهرِ المهدويَّة، لأنَّها القانونُ الأعظمُ في بيانِ منزلة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، وعندها ينتهي كُلُّ كلام، كما يُقال: (رُفعت الأقلامُ وجفَّت الصُحف)، عند هذه الكلمة: (**لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا**) ، بينكَ ضميرُ المخاطب هنا مُوجهٌ إليه سبحانهُ وتعالى، وبينَها هذا الضميرُ المؤنثُ موجَّهٌ إلى الألفاظ القريبة من هذه الجملة.

الدعاء بدأ بالتذكير -**الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِك** - هذا الجمعُ المذكرُ السالمُ كما هو معروفٌ في قواعد النحو - **الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّك الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِك الوَاصِفُونَ لِقُدْرَتِك الْمُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِك، أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِم مِنْ مَشِيَّتِك فَجَعَلْتَهُم مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِك** - فتحولنا إلى جمعِ إذا ما عادَ الضميرُ إليه

سيكونُ ضميراً مؤنثاً، هذا التأنيثُ ما هو بتأنيث حقيقي، هذا تأنيثٌ لفظيّ بحسبِ تراكيب الكلمات، أليسَ التأنيثُ في قواعد النحو؛ (منهُ تأنيثٌ حقيقي ومنهُ تأنيثٌ مجازيّ) ، هذا التأنيثُ بتأويلِ معنى الجماعة، الجماعةُ مؤنثةٌ لفظاً وليست معنىً، والجماعةُ جمعٌ قد يأتي بجمعٍ في نهايته الألفُ والتاء، وقد يأتي في جمعِ تكسيرٍ - **فَجَعَلْتَهُم مَعَادنَ لكَلمَاتك وَأَرْكَانَاً لتَوْحيْدكَ وَآيَاتك وَمَقَامَاتك الَّتي لَا تَعْطيْلَ لَهَا** - لا تعطيل لكُلِّ هذهِ العناوين الَّتي تقدَّمت (معادنُ الكلمات، أركانُ التوحيدِ والآيَات، والمقامات) - **الَّتيَ لَا تَعْطَيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَان يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَك لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُم عبَادُكَ وَخَلْقُك** - ويستمر الدعاء: **فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدك، بَدْؤُهَا منْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْك** - ويعودُ إلى التذكير - **أَعْضَادٌ وَأَشْهَاد وَمُنَاةٌ وَأَذْوَاد وَحَفَظَةٌ وَرُوَّاد فَبِهِم** - بهم - **بِهِم مَلَأتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَك حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ** - بهم؛ من هم هؤلاء؟ الَّذين لا فرقَ بينَ الله وبينهم إلَّا أنَّهم عبادٌ وخلق، هم عبيدهُ وعبادهُ وخلقهُ، وهم أكثرُ افتقاراً إلى الله مني ومنكم، لأنَّ الله قد أعطاهم ما أعطاهم، أعطانا ما أعطانا كثيراً بحسبنا، لكنَّهُ قليلٌ بحسبِ ما أعطاهم، فهم أكثرُ افتقاراً إلى الله، وهم أكثرُ عبوديةً إلى الله مني ومنكم، ومن هنا فإنَّ افتقارنا إلى الله مجازيٌ بالقياسِ إلى افتقارهم، وعبوديتنا أنا وأنتم مجازيةٌ بالنسبة لعبوديتهم إلى الله، نحنُ عبيدٌ عندهم وهم عبيدٌ عند الله، (**عَبْدُك وَابْنُ عَبْدِك** - يا حُسين في زيارةِ وارث - **عَبْدُك وَابْنُ عَبْدِك وَابْنُ أَمَتِك الْمُقِرُّ بِالرِّق**).